# مدينة تنس من خلال المصادر التاريخية في القرن الرابع إلى السادس الهجريين

**م.م. حسين عبد الله رضيوي**

**جامعة المستنصرية / كلية الآداب**

**husseeinredh@uomustansiriyah.edu.iq**

**المستخلص :**

يدرس هذا البحث مدينة تنس من خلال كتابات المصادر التاريخية وكتب الفقهاء والجغرافيين والرحالة ، فالمدينة منذ تأسيسها من قبل جماعة من البحارة الأندلسيين سنة (٢٦٢هـ / ٨٧٥ م) ، عرفت تطورا كبيرا في شتى المجالات ، بداية من أنها ميناء رابط بين المدن الداخلية للمغرب الأوسط ، ولاسيما عندما نتكلم عن التبادل الفكري وعن المبادلات التجارية التي كانت تحدث ما بين مدن الأندلس ، فبعدما شهدت تشييدا عمرانيا من أجل الاستقرار والتطور الفكري والعلمي وحماية التجارة والتجار وعلى هذا الأساس تطورت وعرفت إقبالا كبيرا من عدة قبائل ومنها قبيلة سوق إبراهيم وقبيلة مغراوة ، مما جعلها إحدى المدن الكبرى على ساحل البحر المتوسط وبمرور الزمن كان الاهتمام يزداد بها من قبل العلماء والفقهاء والتجار والرحالة والجغرافيين نظرا للأهمية التي حظيت بها تنس سواء من خلال موقعها الجغرافي بالنسبة للمغرب الأوسط بصفة خاصة أو المغرب الإسلامي بصفة عامة ، وعليه فالمصادر التاريخية أوردت لنا نصوصا مفصلة في مختلف المجالات سواء ما تعلق بالحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعمرانية ، كل هذه المعلومات لها قيمة كبيرة لدي الباحث في التاريخ والأثار.

الكلمات المفتاحية : ( مدينة تنس ، المغرب الأوسط ، الفقهاء ، النوازل ، الأندلسيين )

**Abstract:**

This research studies the city of Tennis through the writings of geographers and travelers, and ever since its foundation by Andalusian sailors in the year 262 AH (875DH ). It has witnessed great development in all fields, As for its role as a connective port between the inland cities of the middle Maghreb.

Especially when we speak about the commercial exchanges with Andalusian cities, After that it witnessed a development of urban construction in ordre to maintain stability in the trade andmerchants, And so, it progressed and became a magnet to several tribes such as the tribes of Souk Ibrahim and Maghraoua which made it oneof the greatest cities on the Mediterranean coast.

As time passed, travelers and geographers became more and more interested in it due to its geographical location in the middle west in particular and Islamic west in general. As a result to all those factors, historical resources gave us details about different domains, Including the social, political, economical and constructional life historical resources this information are priceless for a researcher in history and archaeology.

Key words: ( madinat tinis , almaghrib , alfuqaha' , alnawazil , al'andalusiiyn )

**مقدمة :**

تعد المصنفات التاريخية وكتب الفقهاء والجغرافيين والرحالة ذات أهمية كبيرة لدى الباحثين سواء في التاريخ أو علم الآثار أو الجغرافية ، فهي تحدثنا عن تاريخ حضارات غابرة تركت لنا معالم أثرية تشهد على عظمتها وتطورها ، علمًا أن المصادر الجغرافية نقلت لنا معلومات وأوصاف لعدة بلدان ، ونجد بعض المصادر تحدثت عن مدن المغرب الأوسط ، فالبعض منها عايشت فترة بناء أو تطور أو اندثار هذه المدن ، مع العلم أن هذه الفترة الزمنية الممتدة من القرن الرابع إلى السادس الهجريين عرفت بالسفرات العلمية والرحلات جغرافية لبعض

العلماء فنقلوا ووصفوا مسيرتهم في تلك المدن التي زاروها ، ومن بين هذه المدن التي عرفت بحضارتها وتطورها في المغرب الأوسط مدينة تنس .

وعلى هذا الأساس خصصنا هذا البحث لتسليط الضوء على مدونات المصادر المكتوبة التي وصفت ونقلت لنا احوال مدينة تنس ، وعليه سنحاول تفصيل ما في الكتب والمصادر التاريخية وكتب النوازل الفقهاء وما نقلوه لنا من وصف الرحالة والجغرافيين مع تعليق على بعضها سواء بالاستعانة بالمصادر والمراجع التاريخية ، فلكل مصدر أسلوبه في الوصف وتحليل ما شاهده أو نقل له عن تلك المدينة ، فهناك من اهتم بالجانب التاريخي وهناك من اهتم بالجانب الحضاري للمدينة ، والبعض الآخر كتب في شتى المجالات ، لهذا نحاول استقراء هذه المصادر من الناحية التاريخية ووصفها لأهم مميزات ومعالم ورجالات هذه المدينة .

**المبحث الاول :**

**١ . الموقع الفلكي و الجغرافي :**

تقع مدينة تنس فلكيا على خط عرض ( ٦٣٣٦٢٨,٦٦ ° ) شمالا ، وعلى خط طول ( ١٥٨٥٢١,١ ° ) شرقا ، وقد بنيت على ارتفاع ٦٣م عن مستوى سطح البحر ، حيث تقع على هضبة يميل طرفيها الشرقي والغربي إلى غاية ٦٠م من مستوى سطح البحر (اسماعيل بن، ٢٠١١، صفحة ١٠) . وقد تم تحديد الموقع الجغرافي فقال البكري : ( ... ومدينة تنس بينها وبين البحر ميلان ) (البكري، ١٩٩٢، صفحة ٧٢٦) ، وكذلك يذكر لنا الإدريسي بعض المسافات بين البحر وبعض المدن وعن مدينة تنس يقول : ومنها إلى مدينة تنس مرحلة ، ومدينة تنس على مقربة من ضفة البحر الملح على ميلين منه (الادريسي، ٢٠٠٢، صفحة مج ١ / ٢٥١) .

أما سهلها فهو ضيق بسبب سفوح الجبال التي تلامس مياه البحر، و فيما يخص مناخ المدينة فهو مناخ البحر المتوسط والذي يتميز بحرارة معتدلة وجافة صيفا ، أما الشتاء فهو ممطر بارد فكثير ما تتساقط الثلوج على مرتفعات المدينة (عبد القادر، ١٩٦٥، صفحة ٨٦) .

أما إداريا فهي تابعة لولاية الشلف وتبعد عنها شمالا بـ (٥٠ ) كلم وعن الجزائر العاصمة غربا بـ ٢٠٤ كلم .

أما عن أصل تسمية مدينة تنس فيشير أحد الباحثين أنها مشتقة من الاسم الفينيقي كارتينا وهو اسم فينيقي ليبي الأصل يتكون من شطرين ( كارت) وتعني المدينة أما ( تينا ) فهو لفظ ليبي ، هذا الأخير اشتق منه اسم تنس ، في حين يرى أحد الباحثين المستشرقين أن المدينة وردت تحت إسم ( شلكا ) ، ويشير آخر أنها مشكلة من

مقطعين ، أما المقطع الأول Carth وتعني مدينة في اللغة القرطاجية ، في حين ان المقطع الثاني Tennas وهي كلمة بربرية مجهولة ، وعلى العموم فالمدينة ذات أصل فينيقي بعد أن أسسوا فيها منطقة تجارية وبعدها استغلها الرومان والبيزنطيين و بعدها جاء المسلمون وأطلقوا عليها اسم مدينة تنس (محمد ا.، ٢٠١١، صفحة ١٠٣) .

**٢. المراحل التاريخية لمدينة تنس :**

فترة ما قبل التاريخ : لا تختلف مدينة تنس من الناحية التاريخية لفترة ما قبل التاريخ عن باقي مدن المغرب الإسلامي ، فالمدينة عرفت استقرار بشريا منذ العصور الحجرية لما قبل التاريخ ، والبحوث التي أجريت على هذه البقعة الجغرافية دليل على ذلك ، فقد عثر على العديد من الأدوات الحجرية المختلفة سواء التي استعملت في الصيد أو الحفر أو حتى الأكل ، كما وجدت عدة مغارات وكهوف استأمن فيها الإنسان من الأخطار الطبيعية والحيوانية ، وأن الأدوات الحجرية والعظمية التي تم العثور عليها بهذه المنطقة تعود للحضارة المغربية ، وما هذه إلا بعض المعطيات في حق مدينة تنس نقلها أحد الباحثين مقارنة بالقيمة الأثرية والتاريخية التي تحظى بها تنس (هاينريش ، ٢٠١١، صفحة ١ / ٢١١) .

أ . الفترة القديمة : لقد تعاقب على هذه المدينة عدة شعوب في الفترة القديمة ، فكان أقدم تواجد يعود للفينيقيين الذين شيدوا عدة محطات تجارية على سواحل البحر الأبيض المتوسط ، واستقروا بمدينة تنس وجعلوها محطة تجارية تحت اسم كرتينة ، وهذه الأخيرة هي أصل تسمية المدينة فيما بعد ، وقد أرجع العديد من الباحثين القبور المحفورة في الصخر على ساحل البحر للعصر الفينيقي ، أما عن التواجد الروماني في المدينة فتذكر الأبحاث التاريخية أنها كانت في عهد الإمبراطور أغسطس وهو لقب حمله القيصر الثاني أوكتافيانوس وهو أول الأباطرة الرومان ، و لقب أغسطس) يكتب أيضا هكذا : أوغسطوس أو أوجستس (مشتق من مصدر AUG أو AUC ) وهو الكائن المتنبئ بالغيب ، فاكتسب قيصر الثاني بفضل هذا اللقب سلطة دينية ودنيوية ، فاقت سلطة الحكام المنتخبين ، فقد توفي وهو طريح الفراش وخلف وراءه نظاما جديدا دام بعد وفاته أكثر من مائتي سنة . أنظر : (عمار ، ٢٠١١، صفحة ٩٣) ، الذي جعلها مستوطنة عسكرية له ، وفيما يخص الناحية العمرانية فقد وسعوا الميناء من أجل التبادل التجاري (محمود، ١٩٩٥، صفحة ١٢٦ . ١٨٣ ) .

أما عن دخول الوندال لهذه المدينة فكان سنة ( ٤٢٨ م) فخربوا العديد من المعالم الرومانية وطردوا البربر إلى الجبال ، وأعادوا بناء المدينة وفق مخططهم العمراني ، وجعلوا من المخلفات المعمارية للحضارات السابقة أساسا وركيزة في بناء الأسوار وأبراج المراقبة (مبارك، ٢٠١١، صفحة ٦٦٠ . ٦٧١) ، ونشير هنا أن معظم المدن

الساحلية عرفت تواجدا للإنسان القديم سواء الفينيقيين أو الرومان أو الوندال ، وقد خلفوا عدة آثار في تلك المناطق نظرا للأهمية وموقعها الاستراتيجي، لهذا نجد مدينة تنس تذكر في العديد من المصادر والمراجع التاريخية مع الإشارة لوجود الآثار القديمة بها .

ب . الفترة الإسلامية : أما عن الفترة الإسلامية فقد مرت المدينة بعدة مراحل تاريخية ، بداية من الفتح الإسلامي لبلاد المغرب خاصة في عهد أبي المهاجر دينار وهو مولى مسلمة بن مخلد الأنصاري فهو مولى الأنصار وكان من التابعين ، ولاه مسلمة بن مخلد الأنصاري على إفريقيا بعد عزل عقبة بن نافع ، و هذا سنة ( ٨٨ هـ / ٧٠٦ م) ، لكنه عزل سنة ( ٦٢ هـ / ٦٨١ م) وعين مرة ثانية عقبة بن نافع عليها . أنظر : (ابن خلدون، ٢٠١١، صفحة ٤ / ٢٣٧) ، (محمود ش.، ١٩٥٠، صفحة ١ / ١٦٥) ، والذي يعد الفاتح الحقيقي للمغرب الأوسط وهذا من خلال المسجد الجامع الذي أسسه في مدينة ميلة ، والذي مازال شاهدا على تلك الفترة ، لكن لم تحظى المدن الساحلية بأهمية كبيرة لدى المسلمين الأوائل ، وهذا لسببين ، فأول سبب يكمن في قلة خبرة الفاتحين المسلمين بشؤون البحر ؛ أي أنه عامل طبيعي أكثر، أما السبب الثاني فيتمثل في الخطر القادم على هذه المدن الساحلية خاصة ما تعلق بالجانب الأمني والعسكري ، أي مخافة من الاعتداءات البيزنطية التي كانت تستهدف المدن الساحلية ، وقد ركز الفاتحون المسلمون على تعمير المدن الداخلية خاصة مع إقامة معسكرات قريبة من سواحل البحر ، وعليه نجد العديد من المدن تذكر كطريق رابط بين مدن مختلفة سواء كان القصد تجاريا أو طريقا للحجيج ، إضافة إلى ذلك تمركز السكان الأصليون وهم البربر في المناطق الداخلية بعد الاضطهاد الذي تعرضوا له من قبل الرومان والوند ال ، مما أجبرهم على الاستقرار بعيدا عن مدينة تنس وهي كمثال لمدن المغرب الأوسط ، لهذا رّكز المسلمون الفاتحون على المناطق الداخلية التي يتركز فيها السكان (اليعقوبي، ٢٠٠٢، صفحة ١٩٢) .

ومع بداية ظهور الدويلات المستقلة في المغرب الإسلامي ظهرت سياسة التوسعات التي ضمت عدة مدن داخلية وساحلية ، فالدولة الرستمية كانت من أوائل الدول المستقلة بالمغرب الأوسط ، هذه الدولة ضمت مدنا كثيرة في نطاقها مثل مدينة تنس التي تعتبر مركزا تجاريا يربطها مع مدن الأندلس والمشرق الإسلامي (عبد العزيز، ١٩٥٢، صفحة ٤٩١) ، (الجنحاني، ١٩٧٥، صفحة ١٩) ، وفي هذا الصدد نشير لفضل الأندلسيين في تأسيس المدينة سنة ( ٢٦٢ هـ / ٨٧٥ م ) ، وفي هذا الصدد يقول البكري: ( ... بناها البحريون من أهل الأندلس منهم الكركرني وابن عائشة والصقر وصهيب وغيرهم ، وذلك سنة ( ٢٧٢ هـ / ٨٨٥ م ) (البكري، ١٩٩٢، صفحة ٧٢٦) ، وعد هذه مرحلة قوة وتطور المدينة من عدة جوانب سواء الميناء الذي كان مركز اقتصادها أو منتجاتها الفلاحية التي كانت تزخر بها ، وبعدها دخلت تحت حكم عدة دول إسلامية خاصة مع القرن ( ٥ هـ / ١٣ م) وخلال القرن (٦ هـ ) برز المد الشيعي العبيدي بقيادة أبو عبد الله ، والذي سيطر على معظم المناطق الشرقية

للمغرب الأدنى والأوسط ، وهذا بعد أن هزم دولة الأغالبة وسيطر على مدنهم ، ليتوجه فيما بعد نحو مدن المغرب الأوسط وقضى على حاكمها وأخضع باقي القبائل لحكمه ، ثم سار نحو مدينة تنس وأعاد الأمن اليها وعين أحد قادته على هذه المنطقة ، في حين بقيت هذه المدينة محل صراع بين العديد من الأطراف (الداعي ، ١٩٨٥، صفحة ١٨٠) ، وفي المغرب الأوسط ، فقد أخضع المدينة بعدما طرد حاكمها علي بن يحي الإدريسي سنة ( ٦٠٢هـ / ١٢٠٥ م) (الداعي ، ١٩٨٥، صفحة ٤٦٤) ، وهنا إشارة إلى أن الأدارسة قد سيطروا على مدينة تنس بعد الفاطميين لفترة زمنية (الجيلالي، ١٩٦٥، صفحة ١/ ٢٤٧) ، وبقيت المدينة بفعل موقعها الهام مركزا قصدته العديد من القبائل والقوافل القادمة من البر أو السفن التجارية من البحر .

إن الصراع القائم بين الدويلات المستقلة في المغرب الإسلامي لم يتوقف أبدا ، بل استمر وزاد مع بروز أي قوة جديدة أو خلاف على الحدود أو التجارة أو حتى لفرض الوجود ، فالدويلات المستقلة بالمغرب الإسلامي وإن تزامنت بعضها مع بعض فهناك من ظهرت على أنقاض الأخرى ، وبسطت نفوذها على مجالها الجغرافي وشيدت لنفسها حضارة وعاصمة خاصة بها ، علما أن بعض الدويلات لها صلة قرابة وهنا نشير لبني زيري وبني حماد فهم أبناء عمومة ، إلا أنهم كانوا إحدى الأمثلة عن ذلك الصراع ، والذي نجم عن التوسعات وعدم الولاء ودفع الأموال لهم التي اتفق عليها قبل تشييد حماد لدولته ، وهذا الصراع لم يكن وليد الصدفة بل هو صراع قديم بين قبيلة صنهاجة وزناتة (العبادي، ١٩٥٧، صفحة ٢٠٢ . ٢٠٣) ، وحتى أن مدينة تنس تعرضت لعدة هجمات من قبل بني حماد وطردوهم منها ، إلا أن خلصهم المرابطون بقيادة يوسف بن تاشفين أيام توسعه على المغرب الأوسط سنة (٤٧٤هـ / ١٠٨١م) (أبي زرع، ١٩٧٢، صفحة ١٤٣) ، وعليه فالصراع القائم في بلاد المغرب الأوسط كان يمس خاصة المدن الاستراتيجية سواء العواصم أو المدن التجارية الساحلية .

وبعد بروز الدولة الموحدية التي سيطرت على معظم أقاليم المغرب الإسلامي خاصة بعد سقوط الدولة المرابطية ، لهذا تذكر العديد من المصادر مسيرة عبد المؤمن بن علي في بلاد المغرب الإسلامي من أجل توحيدها ، وقد حقق ذلك المبتغى لتوحيد تلك الأقاليم ، لكن بخصوص مدينة تنس لا نجد لها ذكر في هذه الفترة ان لم نقول منعدمة ، فربما أن المدينة لم يكن لها صدى وحسب ما ذكر المراكشي فأن مدينة تنس صغيرة لم ترقى لمصاف المدن الكبرى (المراكشي، ٢٠٠٦، صفحة ٢٥٣) ، بالإضافة إلى أن الموحدين كان اهتمامهم كبيرا بالأندلس وتوحيد كل المغرب الإسلامي والقضاء على تلك الانقسامات في هذه المنطقة ، لهذا أهملوا العديد من المدن سواء بالمغرب الأوسط أو المغرب الإسلامي بصفة عامة ، لكن لم تدم عظمة الدولة الموحدية كثيرا حتى سقط جيشها في معركة العقاب (أبي زرع، ١٩٧٢، صفحة ٣١٥) ، وتبقى هذه الدولة من أعظم الدويلات التي حكمت المغرب الإسلامي والأندلس ، وحققت ما لم تحققه دولة أخرى بحكم حسن التسيير وقوة في العدة والعتاد .

ولكن بعد تصدع وضعف قوة الموحدين ظهرت في بلاد المغرب الإسلامي مع القرن ( السابع الهجري / السادس عشر الميلادي ) قوى ودويلات متزامنة فيما بينها في بلاد المغرب ، وكما هو معلوم أن كل دولة حاولت فرض نفسها على أخرى مما خلق صراعا بينهما ، وهذا ما ذكرته لنا المصادر حول مدينة تنس التي كانت محل تنافس لسيطرة عليها ، (مؤلف مجهول، ١٩٢٠، صفحة ١٥) ، وغالبا ما كانت تلك الحروب بين القبائل البربرية ، وخاصة أن هذه القبائل كانت تحكم إقليم المغرب الأوسط وتنس إحدى مناطق هذا الإقليم ، ينظر : (أبن الأحمر، ٢٠٠١، صفحة ٥٩) بهذا وأغارت عليها القبائل البربرية مرارا وأدخلتها في طاعته سنة ( ٦٥١هـ / ١٢٥٣ م) ، لكن بعد وفاة الحاكم الزياني انشغل ورثته بالحكم ، ولم يولوا اهتماما بما يحدث في إقليمهم ومناطقهم التابعة لهم ، وهكذا استغلت قبيلة مغراوة هذه الظروف وسيطرت على مدينة تنس (ابن خلدون ي.، ١٩٨٠، صفحة ١ / ٢٠٠) .

وقد بقيت مدينة تنس تتأرجح بين سلاطين بني زيان إلى أن ساد الضعف والخراب بسلطة بني يغمراسن ، مما أدى إلى انفصال عدة مدن عنهم كانت من بينها مدينة تنس التي أصبحت إمارة مستقلة عنهم ، لها حكم ونظام خاص بها ، وهذا أمر طبيعي نتاج الخلاف والاضطرابات وصراع على كرس ي الحكم في السلطة المركزية ، فكل مدينة كانت تابعة لهم تريد الانفصال وتسير أمورها بنفسها خاصة المدن الاستراتيجية (حاجيات ، ١٩٨٤، صفحة ٤٥٥) .

**٣ – مدينة تنس من خلال المصادر التاريخية :**

إن المتمعن في كتب الرحالة والجغرافيين يجد اهتماما كبيرا بالمدن الإسلامية التي كان لها تأثير في المنطقة ، فلا تجد مصدرا تاريخيا إلا وتحدث أو وصف تلك المدينة من شتى الجوانب سواء الجانب الاقتصادي أو الاجتماعي أو السياسي وحتى الجانب العمراني للمدينة ، وتعد مدينة تنس إحدى المدن التي خصت بهذا الاهتمام من قبل المصادر ، لهذا حاولت تتبع مسار هذه المدينة من خلال كتابات الرحالة والجغرافيين بداية من القرن ( ٤ . ٦ هـ / ١٠. ١٢م) ، وهي على النحو الآتي :

١ . تنس عند الأصطخري ( ت : ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م) : يعتبر من المصادر التاريخية الأولى بحيث ذكر لنا قائلا هذه المدينة مقتصرا على هذه العبارة : ( ... وأما مدينة تنس فهي مدينة كبيرة، وهي عدوة إلى الأندلس أيضا...) (الأصطخري، ١٩٢٨، صفحة ٣٨) ، وهنا يربط لنا هذه المدينة مع الأندلس سواء من منطلق القرب أو أنها منطقة تقابل المدن الأندلسية ، مع العلم أن الأندلسيين كانوا يقصدونها كثيرا سواء للتبادل التجاري أو للعبور إلى المدن الداخلية بالمغرب الأوسط .

٢ . تنس عند ابن حوقل ( ت : ٣٦٧هـ / ٧٩٩ م) : أول ما يبدأ كلامه يركز على الجانب المعماري للمدينة قائلا : (...وتنس مدينة عليها سور ولها أبواب عدة ، وبعضها على جبل قد أحاط به السور ، وبعضها في سهل وهي من البحر على نحو ميلين على واد كثير الماء وشربهم منه ، وهي مدينة فوق الصغيرة وليس على البحر فيما قاربها على شكلها بنواحيها في الكبر ) (ابن حوقل، ١٩٩٢، صفحة ٣٨) ، وهنا حدد لنا هذا الرحالة مجموعة من خصائص ومميزات هذه المدينة كالسور المحيط بها و أبوابها الكثيرة حسبه ، وأشار لعنصر الماء الذي يستقي منه السكان .

أما عن الجانب الزراعي وما تنتجه هذه المدينة فيقول : ( وبها فواكه حسنة وهي من الخصب في جميع الوجوه الرفهة بأمر مستفاض...) ، ويتحدث هنا عن الأراض ي الخصبة وما تنتجه من فواكه وحبوب ، أما عن ذلك الازدهار التجاري الكبير للمدينة فيرجعه إلى تواجد العنصر الأندلسي فيها وهي أكبر المدن التي يتعدى إليها الأندلسيون بمراكبهم ويقصدونها بمتاجرهم وينهضون منها إلى ما سواها ، ولسلطانها بها وجوه من الأموال الكثيرة : كالخراج والجوالي والصدقات والأعشار ومراصد على المتاجر الداخلة إليها والخارجة والصادرة والواردة ، ولها بادية من البربر كثيرة وقبائل فيها أموالهم جسيمة غزيرة ، وبها من الفواكه والسفرجل وهو ثمر قابض مسكن للعطش...ينظر : (الفيروز آبادي، ٢٠٠٥، صفحة ١٠١٥) المعتق ما لا أزال أحكيه لحسنه ونعمته وحلاوته وطيب رائحته ..) (ابن حوقل، ١٩٩٢، صفحة ٧٨) ، فقد بلغت المدينة مكانة حضارية من خلال مينائها الذي كان مقصدا للأندلسيين سواء للتبادل التجاري أو الصيد أو الرحالات العلمية ، كما كانت محطة تجارية تربط بين المدن الداخلية خاصة مدينة تاهرت (عبد العزيز، ١٩٥٢، صفحة ٤٩١) ينظر : (فطيمة ، ٢٠١٧، صفحة ١٤٩) ، لابد من الإشارة إلى نقطة هامة بالنسبة لنا نحن المؤرخين وللمختصين في علم الآثار ، وهي أن المدينة عرفت تأثيرا أندلسيا كان منطلقه تجاريا وآخره معماريا أي أن مدينة تنس كانت من أوائل مدن المغرب الأوسط تأثرا بالوجود الأندلسي .

٣ – تنس عند المقدسي ( ت : ٣٧٨ هـ /٧٧٠ م) : أما المقدسي الذي عاش حتى أواخر القرن الرابع الهجري كتب عن مدينة تنس ، فوصف لنا الموقع الجغرافي بالإضافة للجانب المعماري فقال : ( ... وتنس مسورة على البحر شربهم من نهر وكذلك قصر الفلوس ) (المقدسي، ١٩٩١، صفحة ٢٢٩) ، فهنا يشير إلى تحصين المدينة بالسور ، وكذلك يتحدث عن مشرب أهل المدينة ، لكنه لم يحدد مسمى هذا النهر فقد يكون سمع عنه من الذين قصدوا المدينة فقط ولم يزوروها .

٤ – تنس عند البكري ( ت : ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م) : وفيما يخص البكري فهو الوحيد الذي كتب نصا مفصلا عن مدينة تنس ، فأول كلام بدأ به هو تحديده للموقع الجغرافي فقال : ( ... ومدينة تنس بينها وبين البحر ميلان

) (البكري، ١٩٩٢، صفحة ٧٢٦) ، وهنا إشارة للموقع الذي بنيت عليه المدينة بالنسبة للبحر، وبعدها يذكر لنا التحصين الطبيعي فيقول : (... وهي مسورة حصينة داخلها قلعة صغيرة صعبة المرتقى ينفرد بساكنها العمال لحصانتها... ) (البكري، ١٩٩٢، صفحة ٧٢٦) ، التحصين الطبيعي الذي امتازت به المدينة سواء الهضبة الجبلية أو الواد وحتى السور ، جعلها في مأمن من هجمات الأعداء سواء القادمة من البحر أو القادمة برا ، و تعتبر هذا التحصين الطبيعي أحد شروط التي تميزت بها المدينة عن مدن المغرب الأوسط الساحلية ، وهي شروط أقرها ابن الربيع في اختيار موقع لبناء مدينة إسلامية (أبي الربيع، ١٩٩٦، صفحة ١٠٦) ، وعرج البكري على الذين بنوا المدينة فذكر بعضهم ، فقال : ( وتنس الحديثة أسسها وبناها البحريون من أهل الأندلس منهم الكركرني وابن عائشة والصقر وصهيب وغيرهم ، وذلك سنة ٢٦٢ هـ ) (البكري، ١٩٩٢، صفحة ٢ / ٧٢٦) ، كما أشار إلى وجود مدينتين قديمة وحديثة قائلا : ( وتنس هذه التي تسمى الحديثة ، وعلى البحر حصن يذكر أهل تنس أنه كان القديم المعمور قبل هذه الحديثة ) (البكري، ١٩٩٢، صفحة ٢ / ٧٢٦) ، وهنا يشير لوجود حصن بجانب البحر وكذلك أن المدينة جددت وبنيت من جديد وربما يقصد تنس التي بناها تجار الأندلس ، أي أن المدينة عرفت تواجد بشري مستمر استقروا بها وشيدوا عمارتهم بها ، فالغاية من ذلك مختلفة ومتعددة سواء ما تعلق بالتجارة أو الزراعة أو الصيد ، لأن المدينة ذات موقع استراتيجي على ساحل البحر مكنتها من كسب مكانة مهمة في المغرب الأوسط وبصفة عامة المغرب الإسلامي .

وقد ذكر لنا البكري حادثة بناء تنس ، التي تتلخص في توافد بعض التجار الأندلسيين ، الذين امتازوا بحسن السيرة ونباهة الفكر وتعدد مهاراتهم في العديد من المجالات ، ونظرا للموقع الاستراتيجي الذي تمتاز به تنس وما تزخر به من ثروات ، وقع اختيارهم عليها لتكون مركزا لهم لصقل هذه المهارات وتنميتها ، وجاء النص على النحو التالي : ( ... وكان هؤلاء البحريون من أهل الأندلس يشتون هناك إذ ا سافروا من الأندلس في مرسى على ساحل البحر ، فتجمع إليهم بربر من هذا القطر ورغبوا في الانتقال إلى قلعة تنس وسألوهم أن يتخذوها سوقا ويجعلوها سكنى ، ووعدوهم بالعون والرفق وحسن المجاورة والعشرة ، فأجابوهم إلى ذلك ، وانتقلوا إلى القلعة وخيموا بها ، وانتقل إليهم من جاورهم من أهل الأندلس وغيرهم... ) (البكري، ١٩٩٢، صفحة ٢ / ٧٢٦) ، إن مرسى تنس يعد مركز ا مهما للتبادل التجاري ، كما كان محور توقف السفن الآتية من الشرق والغرب والمحملة بالسلع و البضائع مختلفة ، لهذا ساهم هذا الميناء بقدر كبير في تطور المدينة سواء من الناحية الحضارية أو الاجتماعية أو الاقتصادية (الجنحاني، ١٩٧٥، صفحة ١٩) ينظر : (سعيد، ٢٠١٩، صفحة ٣٩٠) ؛ والمتعارف والمتفق عليه أن الحضارة تتألف من : النظم السياسية والاقتصاد والمجتمع والفكر. وفي السياق نفسه يذكر لنا البكري التركيبة الاجتماعية لهذه المدينة فيقول : ( ويسكنها فريقان من أهل الأندلس من أهل البيرة ينظر : (ياقوت الحموي، ١٩٧٧، صفحة مج ١ / ٢٤٤) وأهل تدمير (ياقوت الحموي، ١٩٧٧، صفحة مج ٢ / ١٩) ، وأصحاب تنس من

ولد إبراهيم بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن حسن بن حسين بن علي بن أبي طالب...) (البكري، ١٩٩٢، صفحة ٧٢٦) ، وهنا يكون قد حدد لنا فئتين من الأندلسيين الذين استقرا بتنس، مع العلم أن أصل حكام تنس يرجع نسبهم لعلي بن أبي طالب .

ومما أشار إليه البكري النهر الذي يحيط بالمدينة فيقول : ( وهي على نهر يسمى : تناتين من جبل على مسيرة يوم فيأتيها من القبلة ويستدير بها من جهة الجوف والشرق ويريق في البحر ) (البكري، ١٩٩٢، صفحة ٧٢٦) ، إن خاصية النهر الذي يحيط بالمدينة هي سمة نفعية لأهل المدينة إذ كان هذا النهر دائم الجريان، كما أنها سمة دفاعية يحميها ويدعم حصانة المدينة ، وهو يأخذ محل الخندق الذي اشترطه بعض مفكري العمران .

أما عن الجانب المعماري قال : ( وبها مسجد جامع وأسواق كثيرة ... وبها حمامات ) (البكري، ١٩٩٢، صفحة ٧٢٦) وهنا يشير لأهمية المسجد الجامع في المدينة وخاصة أنه أساس المدينة الإسلامية وربما يقصد البكري المسجد الجامع سيدي بومعيزة الذي مازال يحافظ على هيكله إلا في بعض التغييرات ، في حين يشير أحد الباحثين إلى أن مسجد سيدي بلعباس هو أقدم مسجد جامع بالمدينة نظرا لموقع وطريقة ومواد بنائه (اسماعيل بن، ٢٠١١، صفحة ١٦٧) ، كما يتحدث عن الأسواق المتعددة بتجارتها ودكاكينها ، بالإضافة لوجود عنصر الحمامات وهو من الضروريات في المدينة الإسلامية ، لارتباطه بالطهارة وغايتها العبادة ونظافة الجسم ، ومن بين الجوانب التي تعرض لها هذا الجغرافي الوضع الصحي للسكان ، إضافة إلى جودة الهواء وحالة المناخ ، حيث ذكر لنا الوباء الذي أصاب المدينة مما حتم على بعض الأندلسيين الخروج منها إلى مدينة أخرى في المغرب الأوسط فقال : ( ... فلما دخل عليهم الربيع اعتلوا وإستوبوا الموضع ، فركب البحريون من أهل الأندلس مراكبـهم ، وأظهروا لمن بقى منهم أنـهم يمتارون ، فحينئذ نزلوا قرية بجانة ، وتغلبوا عليها... ) (البكري، ١٩٩٢، صفحة ٧٢٦) ، من أهم ما جاء في هذه العبارة أن المدينة كانت في الربيع معرضة للوباء ، لهذا رحل منها الأندلسيين متجهين نحو مدينة بجاية وبجانة خفية من أن يلحقهم أهل تنس ، وهذا أمر وقائي حسب ما يفهم من ذلك ، لأن معظم الناس كانوا مصابين بذلك الوباء .

فرغم الوباء وهجرة الأندلسيين من المدينة إلا أنها زادت تطورا ورخاء في شتى الميادين سواء من ناحية العمرانية أو من النواحي الأخرى فقال : ثم إن الباقين بتنس لم يزالوا في تزايد ثروة وعدد ، ورحل إليهم أهل سوق إبراهيم ، وكانوا في أربعمائة بيت فوسع لهم أهل تنس في منازلهم وشاركوهم في أموالهم ، وتعاونوا على البنيان واتخذوا الحصن الذي فيها اليوم ، ولها بابان إلى القبلة وباب نحو البحر وباب ابن ناصح وباب الخوخة يخرج منه إلى عين تعرف بعين عبد السلام ، ثرة عذبة (البكري، ١٩٩٢، صفحة ٧٢٧) ، فالنص هنا واضح من خلال تحدثه عن هجرة أهل سوق إبراهيم التي قصدت تنس مع مشاركتهم في عمران المدينة من قصور وحصون

ومساجد ، وقد قدر عدد الذين هاجروا من قوم سوق إبراهيم بحوالي أربعمائة عائلة على الأقل ، وهذا عدد كبير جدا مقارنة بالهجرات التي تنتهجها القبائل .

ليعود البكري ويخصص بعض الأسطر حول الأوزان والمقادير ، فقد أورد لنا نصا عن ذلك فيقول : ورطل اللحم بها سبع وستون أوقية ، ورطل سائر الأشياء : اثنتان وعشرون أوقية ، ووزن قيراطهم ثلث درهم عدل بوزن قرطبة ، والجاري عندهم قيراط وربع درهم وصقل وحبتان مضروبة كلها ، ودرهمهم : اثنتا عشرة صقلية عددا (البكري، ١٩٩٢، صفحة ٧٢٧) ، هذه العبارة تشرح لنا أهم الموازين والمكاييل التي تعامل بها أهل تنس وهذا من أجل تسير تجارتهم الداخلية والخارجية (اسماعيل بن، ٢٠١١، صفحة ٢١١) ، وكذلك أن هذه الأوزان لم تخرج عن الشرع الإسلامي بل كانت دائما تسعتين به في المعاملات ، وهذا رغم وجود بعض الاختلافات سواء في القيمة أو الوزن مع بعض المدن وهذا أمر طبيعي يرجع لحالة المجتمع خاصة من ناحية الاقتصادية . إن هذه التفاصيل التي جاءت على لسان البكري تعد مقياسا لقيمة وتطور هذه المدينة من شتى النواحي ، فالشيء الذي يجلب انتباه الباحث في وصف البكري هو أن هذا الجغرافي لم يزر تنس ولا بلاد المغرب الأوسط أو المغرب الإسلامي بصفة عامة ، إلا أنه زودنا بمعلومات استقاها من مصادر متنوعة ، كان من بينهم أشخاص أخذ عنهم من خلفيات وانتماءات متنوعة فكان منهم : شخصيات عسكرية ودينية وأهل التجارة إضافة إلى الرحالة الذين سبقوه ، ومن ثمَّ فإن معلوماته كانت عبارة عن روايات شفوية ومنقولة أخذها من الكتب والرسائل ، وقد كتبها بعض العلماء و الرحالة على غرار ابن عبد البر وابن حيان وأبو العباس العذري ، وهي تحمل العديد من المعلومات والأخبار المتعلقة بالمغرب الإسلامي (الغنيم، ١٩٩٦، صفحة ٦٩) ينظر : (وميض، ٢٠٠٣، صفحة ٥٩ . ٦٧) ، فعلى الرغم من أنه لم يزر المغرب الإسلامي ، إلا أنه ألفا لنا كتابا قيما يزخر بالمعلومات المهمة حول مدن المغرب الإسلامي ، ومنها مدينة تنس التي وصفها وصفا دقيقا متميزا، بحيث لم يسبقه أحد بذلك .

٥ – تنس عند الإدريسي : مع منتصف القرن السادس الهجري يذكر لنا الإدريسي بعض المسافات بين البحر وبعض المدن عن مدينة تنس فيقول : ( والطريق من تلمسان إلى مدينة تنس سبع مراحل ) (الادريسي، ٢٠٠٢، صفحة ٢٥٠) ، ويضيف : ( مدينة وهران السابق ذكرها إلى مدينة تنس مجريان وهي من الأميال مائتا ميل وأربعة أميال ، ومن مدينة تنس إلى برشك على الساحل ستة وستون ميلا ومن مدينة تنس إلى مدينة مليانة في البر مرحلتان ) (الادريسي، ٢٠٠٢، صفحة ٢٥٧) ، وقال كذلك : ( والطريق من مدينة تنس إلى المسيلة من بلاد بني حماد بالغرب الأوسط تخرج من مدينة تنس إلى بني وازلفن لطيفة في جبال وعرة ) (الادريسي، ٢٠٠٢، صفحة ٢٥٢) .

وإن ما ذكره الإدريسي من المسافات من أو إلى تنس ماهو إلا دليل على الأهمية والمكانة التي تحتلها تنس في المغرب الأوسط ، من خلال مينائها أو كطريق عابر نحو الأندلس عبر البحر أو برا نحو المدن الشرقية ، مما زاد في التبادل التجاري وتنقل العلماء وأهل الصناعة والحرف بين تلك المدن (مبارك، ٢٠١١، صفحة ٧٥) ، فالعلاقة هنا واضحة بين مدن المغرب الإسلامي من أجل التجارة أو الرحلات العلمية ، لهذا نجد العديد من المسالك والطرق الرابطة بين المدن الداخلية والساحلية مثل مدينة تنس ، كل هذا كان من أجل المبادلات التجارية . وبعدها يصف لنا المدينة من الناحية الطبوغرافية والمعمارية قائلا : ( وبعضها على جبل وقد أحاط بها السور وبعضها في سهل الأرض ) (الادريسي، ٢٠٠٢، صفحة ٢٥١) وهنا إشارة على أن المدينة كانت واسعة ، بحيث بنيت بعض منازلها على جبل و الأخرى على سهل ، كما يذكر أن المدينة محصنة بسور يحيط بها من كل جانب ، و يضيف قائلا : ( وهي مدينة قديمة أزلية ) (الادريسي، ٢٠٠٢، صفحة ٢٥١) ، ما يفهم من هذه العبارة أن المدينة شيدت منذ القدم ، أي كما أشرنا سابقا أنها من تأسيس فينيقي ، لهذا يذكر لنا الإدريس ي بأنها أزلية ، ويضيف قائلا : ( عليها سور حصين وحظيرة مانعة دائرة بها ) (الادريسي، ٢٠٠٢، صفحة ٢٥١) وهنا يذكر موقعها الطبوغرافي والتحصين الطبيعي الذي تتمتع به المدينة ، بحيث تم إحاطة المدينة بسور يحميها من الأعداء ، ودعم هذا السور بأبراج للمراقبة و أبواب أربعة تؤدي لداخل المدينة ، ولم يبق من ذلك السور والأبراج إلا الأساس فقط (اسماعيل بن، ٢٠١١، صفحة ١٠٨) ، وهذا نظرا لعدة عوامل طبيعية وبشرية : كالحروب والزلازل والأمطار التي أضعفت من صلابة الأسوار . كما يتحدث عن عنصر الماء الذي تحظى به المدينة قائلا : ( وشرب أهلها من عين ولها في جهة الشرق واد كثير الماء ، وشربهم منه في أيام الشتاء والربيع ) (الادريسي، ٢٠٠٢، صفحة ٢٥١ . ٢٥٢) ، في هذه العبارة يشير لعنصر الماء وهو أساس بناء المدن و شرط استقرار الإنسان ، فهذه المدينة بها ( عيون واد ) كثير الماء ربما يقصد هنا ( واد تناتين ) الذي ذكره البكري ، ويضيف قائلا : ( وبها فواكه وخصب ، وبها إقلاع وحط ، ولها أقاليم ومزارع ، وبها الحنطة ممكنة جدا وسائر الحبوب موجودة ، وتخرج منها إلى كل الأفاق في المراكب ، وبها من الفواكه كل طريفة ، ومن السفرجل الطيب المعنق ما يفوت الوصف في كبره وحسنه ) (الادريسي، ٢٠٠٢، صفحة ٢٥١ . ٢٥٢) ، أهم ما يستنبط من هذه العبارة هو تنوع المحاصيل الزراعية التي كانت تنتج بهذه المدينة من خضر وفواكه ، وقمح وشعير ، وكذلك السفرجل الطيب الذي تنفرد به المدينة ، إن تعدد هذا المنتوجات يرجع لجودة التربة ووفرة عنصر الماء ، وكذلك لحرص أهل تنس في تنويع زراعتهم ، فالمنطقة هي نقطة التقاء التجار من أجل المبادلات التجارية برا وبحرا، وخاصة أنها كانت مقصد العديد من التجار الأندلسيين (قرية، ٢٠٠٧، صفحة ٢٤٧) .

٦ – تنس عند صاحب الاستبصار : وخلال القرن السادس الهجري يذكر لنا صاحب الاستبصار وصفًا للمدينة ليس بالجديد مقارنة بما ذكرته المصادر التي سبقته ، وهنا نشير إلى هذا المصدر الذي استند إلى إليهم فنقل لنا

عدة معلومات، وبدأ كلامه بتحديد الموقع الجغرافي فقال : ( ...بينها تنس وبين البحر ميلان...) (مؤلف، د.ت، صفحة ١٣٣) ، هذه العبارة طبق الأصل لما قاله البكري .

أما الجانب العمراني يذكر : (... وهي مدينة مسورة حصينة ، وداخلها قصبة صعبة المرتقى ينفرد بسكانها عامل تنس لمنعتها...) (مؤلف، د.ت، صفحة ١٣٣) وهنا يذكر لنا دار الحكم أو دار الإمارة والمحصنة والبعيدة عن الخطر سواء القادم من البحر أو من البر ، فحسب قوله من الصعب دخولها أو اجتيازها لمناعتها ، فهذا التحصين العسكري كان لابد منه بسبب الظروف المحيطة بالمدينة ، إضافة لذلك فهي مقر الحاكم لهذا وجب حمايته سواء بالعمارة أو بالجنود ، وهذا أمر منطقي فالتحصين ضروري للحاكم أولا ثم الرعية . ويضيف في الجانب العمراني أيضا : ( ... وبها مسجد جامع وأسواق كثيرة... ) وهنا إشارة للمسجد الجامع والأسواق العامرة بتجارتها وعمرانها ، ثم يركز على النشاط الزراعي للمدينة فيشير إلى وفرة مياهها وكثرة مزروعاتها وتعدد منتجاتها فيقول : (... ولها نهر يسمى تامن يأتيها من جبال القبلة ثم يستدير بها من جهة الشرق والجوف ، ويصب في البحر ، هي كثيرة الزرع ، رخيصة الأسعار منها يحمل الطعام إلى الأندلس وإلى بلاد أفريقية وإلى بلاد المغرب لكثرة الزرع عندهم...) (مؤلف، د.ت، صفحة ١٣٣) ، من بين ما يشير إليه في هذه العبارة هو الطعام الذي يحمل منها إلى الأندلس وبلاد أفريقية والمغرب ، فالطعام الذي يقصده هنا متعدد وغير محدد بنوع ما ، لهذا فكثرة منتجاتهم الفلاحية وتحقيقهم اكتفاء ذاتي يسمح لهم بتصدير وجلب سلع أخرى وآخر ما أشار إليه صاحب الاستبصار حول هذه المدينة أنها كانت عرضة للأمراض والأوبئة خاصة في فصل الربيع نتيجة سوء المناخ فيقول : (... ولكنها وبية أي الوباء ينظر : (ابن منظور، د.ت، صفحة مج ١ / ١٨٩ . ١٩٠) ، من يدخلها لا يسلم من المرض ، وكثيرا ما يموت بها الغرباء ...) (مؤلف، د.ت، صفحة ١٣٣) ، وهنا إشارة واضحة لتلك الأمراض والأوبئة التي كانت تضرب المدينة ، فتخلف العديد من الموتى نظرا لشدتها على العموم يمكن القول أن صاحب الاستبصار لم يعطنا المعلومات بقدر ما وجدناها لدى البكري ، فهو استقى بعض المعلومات منه ، خاصة ما تعلق بالجانب الحضاري والمعماري للمدينة ، إلا أنه تحدث عن الجانب الزراعي والتجاري بطريقة مختلفة ، لكن في قضية الوباء وانتشاره بالمدينة يحتاج منها تدقيق فيما قيل ، فحسب ما وصف بأن المدينة تشتهر بإنتاجها للخضر والفواكه وسفرجل طيب ، وكذلك الماء عذب وأهل تنس يشربون منه ، غير أن بعض الأوصاف تقول أن مائها وهوائها وأرضها نجسة وعرضة للأمراض ، فكيف ببلدة تشتهر بتلك المنتوجات وتكون بذلك الوصف السيء ؟ ، فلو كانت نجسة حسب ما ذكر في بعض الأبيات الشعرية ما نبت فيها شجر أو شيدت بها عمارة ، فقد تكون أصيبت بذلك الوباء لكن لا يطول ولا يكون موسميا حسب رأينا الخاص .

وإن كل المصادر التاريخية ذكرت حصانة مدينة تنس ، سواء التحصينات الطبيـعية أو السور الذي حصنها من كل الجوانب ، فمعظم المدن الساحلية هي أكثر عرضة للهجمات من البر أو البحر ، لهذا يتم اختيار لها حاجز طبيعي من نهر أو جبل لحمايتها ، فتنس لا تختلف عن المدن الأخرى ، فهي تنطبق عليها الشروط التي أقرها ابن الربيع وغيره من العلماء (مصطفى، ١٩٨٨، صفحة ٤٣٧) ، خاصة أن المدن الساحلية شهدت توافد العديد من الهجرات سواء التي قصدتها بغية الاستيلاء عليها من أجل ثرواتها وخيراتها ، أو من أجل رواج تجارتها ، أو من أجل حصانتها التي تبعث على الأمن والاستقرار .

**المبحث الثاني :**

**أشهر علماء مدينة تنس في ضوء المصادر التاريخية وكتب نوازل الفقهاء المسلمين في القرن ( ٤ . ٦ هـ )**

**التمهيد :**

لقد أنجبت مدينة تنس العديد من العلماء الأفذاذ ، الذين كان لهم باع طويل في تنشيط الحركة العلمية داخل المغرب الأوسط وخارجه ، وذلك من خلال اسهاماتهم المشرفة في مجال التدريس والكتابة والتأليف ، أو ممارستهم لوظائف أخرى كالقضاء والإفتاء والتمثيل الدبلوماسي ، وهو ما جعل تلمسان تعرف من خلالهم حركة علمية وحضارية مزدهرة وتكون أهم مركز إشعاع ثقافي بالمغرب الأوسط ومن هؤلاء العلماء علماء مدينة تنس ، ومن هم أبرز علمائه ؟ وما هي المكانة العلمية التي حضوا بها بين معاصرهم من العلماء ، وأين تجلت أهم إسهاماتهم في الحركة العلمية داخل المغرب الأوسط وخارجه في باقي البلاد الإسلامية ؟

لقد أنجبت مدينة تنس الكثير من الأعلام والعلماء المفكرين الذين كان لهم باع طويل في إثراء الحياة الثقافية وازدهارها وذلك بفضل إسهاماتهم الرائدة في ميادين مختلفة وتنشيط الحياة السياسية من خلال ممارساتهم للتمثيل الدبلوماسي ( السفراء ) وهذا بالإضافة إلى مهام الأخرى التي حظيو بها كالإفتاء والقضاء ، ونالوا من خلالها شهرة واسعة في العالم الإسلامي بفضل نبوغهم وقيامهم بها على أحسن وجه ، ومن أبرز هؤلاء العلماء والمفكرين علماء بيت آل التنس بمنطقة تنس .

**١ . ابرز علماء مدينة تنس :**

من ألمع العلماء والمفكرين الذين يشتهر بهم بيت آل التنس ، وتعتز وتفتخر بهم مدينة تنس وحاضرة المغرب الوسيط نذكر :

أ . إبراهيم بن يخلف التنسي : ( ت : ٦٨٠ هـ / ١٢٨١م ) هو أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي المطماطي ينظر : (حساني ، ٢٠١١، صفحة ٤ / ٢٧٢) نشأ بتنس ، وهو واحد من فقهائها ومفتيها المشاهير ، تلقى دراسته الأولى في مسقط رأسه تنس ، وبعدها توجه إلى مدن كثيرة والتي كانت حواضر العلمية فأخذ عن علمائهم ، وفي مقدمتهم أبي العباس المليانى (مخلوف، ٢٠١١، صفحة ٢١٨) ، ثم توجه إلى الحاضرة العلمية في مدينة بجانة ينظر ترجمة (ياسين، ٢٠٠٤، صفحة تر ٧٠ / ص ٢٤٢) ، وأخذ عن علمائها وكان أبرزهم أبو ناصر المشدالي وهو من كبار العلماء مدينة بجانة الذي أسهم من خلال علومه في تخريج العديد من

طلبة العلم ومنهم عمران بن موسى المشدالي البجاني ينظر : (حولة، ١٩٨٥، صفحة ١٤١ . ١٤٢) ، وبعد ذلك ارتحل إلى بلاد المشرق حاجا ، فأخذ علوم المنطق والجدل وعلم الكلام والإرشاد وغير ذلك من العلوم على علماء مصر من أمثال شمس الدين الأصبهاني والقرافي وسيف الدين الحنفي وابن دقيق ، وبرع في العلوم الدينية ، ثم عاد بعدها إلى مسقط رأسه (عبد الحميد، ١٩٧٤) (خضر ، ٢٠١١، صفحة ٢٧٧) ، ولما استوى السلطان الزياني يغمراسن على تنس ، استقدمه إلى تلمسان وطلب منه أن يقيم فيها لتدريس العلوم الدينية ، فقبل عرضه ، واستفاد منه خلق كثير (ابن مريم، ٢٠١٤، صفحة ١٥٩) .

ب . أبو الحسن التنسي : هو شقيق أبي إسحاق وقد ذكره ابن مرزوق الذي قال بشأنه : " هو أخو الفقيه العلامة المفتي القدوة أبو الحسن شقيق أبي إسحاق تربى في حجر أخيه ، وعليه قرأ ، إلا أنه كان ينتسب في التجارة فأقام على هذا الحال مدة ، ورحل تاجرا إلى بلاد إفريقيا ، ثم انه تجرد للقراءة ورحل إلى بجاية فقرأ بها على من أدرك فيها من العلماء ، ولازم ابن كحيلة ، وشيخنا أبا علي ناصر الدين المشدالي ، والشيخ الإمام أبا محمد وأبا يوسف الزواويين بمدينة تونس ، ثم عادا إلى أخيه بعدما استوطن تلمسان وبها حظي بكل الرعاية والعناية ، وفي هذا الصدد يذكر صاحب البغية أنه لما حاضر يعقوب المريني تلمسان خرج إليه أبو الحسن التنسي والتحق به ، فاستقبله بحفاوة ، ومكث في بلاطه إلى أن توفي قبل انتهاء الحصار سنة ( ٧٠٦ هـ / ١٣١١ م) ، وكان السلطان أبا يعقوب قد شهد جنازته بضريح الولي الصالح أبي مدين شعيب ، ولم يشهد جنازته احد قبله " (بابا، ١٩٨٥، صفحة ٣٩٦) .

ج . محمد التنسي : هو محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي التلمساني الفقيه الجليل الحافظ الديب المطالع١ ، ولد زهاء ( ٨٢٠ هـ / ١٤١٧م) بمدينة تنس ، وبعد واحد من أكابر علماء تلمسان الجلة ومحقيقها٢ بفضل ما تلقاه من أصناف مختلفة من العلوم والمعارف على أيدي مجموعة من الشيوخ الذين تتلمذ عليهم من أمثال الإمام العلامة أبي الفضل والإمام الأصولي محمد بن النجار ، والولي الصالح ابراهيم التازي ، وابن العباس والإمام أبي الفضل محمد بن ابراهيم ( ٨٤٦ هـ / ١٤٤٢م) والإمام قاسم العقباني ( ٨٥٤ هـ / ١٤٥٤ م) ، والحسن بن مخلوف الشهير بأبركان ( ٧٠٨ هـ / ١٣٠٨م) وأحمد بن زاغو ( ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م)

وغيرهم وللإشارة فقد ساعده تكوينه هذا على كبار علماء عصره في سعة علومه ومعارفه ، ومن ثمّ فتح أمامه الباب لممارسة مهنة التدريس حيث اخذ عنه غفير من طلبة العلم وفي مختلف التخصصات (محمد، ٢٠٠٤، صفحة ٢٣٥) .

د . ابن الإمام التنسي : هما الأخَوان عبد الرحمن بن عبد الله بن الإمام المكنى أبو زيد وأبو موسى عيسى بن محمد بن عبد الله بن الإمام ، بالنسبة للأول فهو الأخ الأكبر ، أما الثاني فهو الأخ الأصغر (ابن فرحون، ٢٠١١، صفحة ١٠١ . ١٠٢) ذكر أكبرهما صاحب الكتاب شجرة النور الزكية قائلا في شأنه هو العالم الشامخ الحافظ النظار المتحلي بالوقار الشائع الصيت شرقا وغربا ، وهو أكبر الأخوين المشهورين بأبني الإمام التنسي (مخلوف، ٢٠١١، صفحة ٢١٩) ، ووصفهما في حديثه مرة أخرى قائلا عنهما ، وهما فاضلا المغرب في وقتهما ، ولم تذكر لنا المصادر التي ترجمت لهما تاريخ ميلادهما ، وإنما اكتفت بالإشارة إلى أنهما تشاركا معا في الرحلات العلمية مغربا ومشرقا في سبيل الاستزادة والتحصيل العلمي وحتى فيما بعد في مجال الإفتاء والمناظرة ، وهما اللذان عرف بالإمامة والاجتهاد المطلق (صبرينة، ٢٠١٤، صفحة ٤٥) .

**٢ . اسهامات علماء تنس في الحركة العلمية :**

لعل من أبرز ما يعرف عن علماء تنس ، هو ذلك النشاط والإسهام الدؤوب والمشهور الذي عرفوا به ، وأثرو من خلاله الحركة العلمية سواء كان ذلك داخل الحاضرة تلمسان أو خارجها ببلاد المغرب والمشرق الإسلامي ، والذي استطاعوا من خلاله أن يتبوءوا منزلة رفيعة سواء من خلال المهام التي تولوها كالتدريس والقضاء والإفتاء ، أو من خلال أثارهم ومؤلفاتهم التي خلفوها للأجيال .

**٣ . أهم المهام التي تولاها علماء تنس :**

**أ . التدريس :**

أمام سعة العلم والمعارف التي اشتهر بها بيت آل التنسي ، ولا سيما في مجال العلوم الدينية وفي مقدمتها علم الفقه، توافد عليهم طلبة العلم الشغوفين على حب الاستزادة والرغبة في التحصيل من كل الجهات (نصر ا.، ٢٠٠٩، صفحة ١٢٤) ، ومن أبرز علماء تنس الذين ذاع صيتهم في مجال التدريس نذكر :

. ابنا الإمام : وهما العالمان الجليلان من أصل برشك ، عرفا برصيدهما الوافر من العلوم النقلية والعقلية جراء ما قاموا به من رحلات علمية اتجاه حواضر المغرب كتونس وحواضر المشرق ، وأمام ما حازوه من معارف اتصل بهما السلطان أبو حمو الزياني الأول بعد عودتهما لتلمسان ، واحتفل بهما ، وبنى لهما المدرسة المسماة باسمهما بتلمسان ، وبنى لهما دارين عن جانبها ، وكان ذلك سنة ( ٧١٠ هـ / ١٣١٠ م) ، وتولى ابنا الإمام وظيفة التدريس فيها ونشر العلم في رحابها ، فقصدهما طلبة العلم من كل الأعمار ، وتخرج منها وعلى يديهما كبار العلماء المسلمين الذين تركوا آثارا لبصماتهم الواضحة في الحياة العلمية في البلاد الإسلامية وفي هذا الصدد يقول

صاحب البغية عنهما : وتركا بتلمسان خلقا كثيرا ينتحلون العلم كبيرا وصغيرا بلغ أكثر منهم مقام التدريس والعلم والفتيا في النوازل درس ، ومن بين الطلبة الذين تتلمذوا عليهم ، وكان لهم الفضل في الإشراف على تخرجهما : أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي ( ت : ٧٥٧ هـ / ١٣٥٦م) ، (وأبو عبد الله محمد المقري ( ت : ٧٥٩ هـ / ١٣٥٨م ) ، ( أبو عبد الله الشريف التلمساني ( ت : ٧٧١ هـ /١٣٧٠م ) ، وكذلك ابن مرزوق الخطيب ، وسعيد العقباني ولسان الدين بن الخطيب ، والمؤرخ عبد الرحمن بن خلدون كما تخرج عليهما جل علماء المغرب الإسلامي آنذاك (البو عبدلي، ٢٠٠٩، صفحة ٨٦١) .

**ب . القضاء والإفتاء :**

إلى جانب مهمة التدريس ، فقد تولى علماء مدينة تنس وظيفة القضاء والإفتاء ومن بين علماء هذه المدينة الذين برزوا في هذين المجالين نجد في مجال الإفتاء :

– ابنا الإمام : فزيادة على خوضهم لميدان التعليم والتدريس ، فقد انفرد ابنا الإمام بمهمة الإفتاء ، وذلك بحكم ما تمتعوا به من رصيد علمي كبير في العلوم الفقهية ، ومن أشهر الفتاوى التي خص بها تلك التي ذكرها لنا تلميذهما الإمام المقري حيث قال : شهدت مجلسا بين يدي الإمام حديث لقنو موتاكم لا اله إلا الله ، فقال له الأستاذ أبو إسحاق بن حاكم السلوي ، هذا الملقب محتضر حقيقة ميت مجازا ، فما وجه ترك محتضرهم إلى موتاكم ، والأصل حقيقة، فأجابه أبو زيد بجواب لم يقتنع به يذكر الإمام المقري ، ثم يقول وكنت قرأت على الأستاذ بعض التنقيح فقلت زعم القرافي أن الشيء إنما يكون حقيقة في الحال مجازا في الاستقبال مختلفا فيه في الماضي إذا كان محكوما به ، أما إذا كان متعلقا الحكم كما هنا فهو حقيقه مطلقا إجماعا ، وعلى هذا لا مجاز (بابا، ١٩٨٥، صفحة ١٦٦) ، لا يقال احتج عليه بما فيه نظر لأنا نقول : أنه نقل الإجماع وهو أحد الأربعة التي لا يطالب له مدعيا بالدليل كما ذكره هو ، بل نقول أساء حيث احتج في موضع الوفاق ويواصل شرحه ، فلنا أن نقول ذلك إشارة إلى ظهور العلامات التي يعقبها الموت عادة لأن تلقينه قبل ذلك إن لم يدهش فقد يوحش ، فهو بذلك تنبيه على محل التلقين ، أي : لقنوا من تحكمون بأنه ميت أو نقول : إنما عدل إلى الاختصار بما فيه من الإبهام وللإشارة ، فقد عمل ابن الإمام على تنقيح بعض مسائل الفقه من خلال الأصول ، وتوضيح ما جاء غامضا فيه دون تعصب إلى المذهب بالرجوع إلى الأسانيد والأصول ، وفي هذا الصدد، فقد ذكري المصادر التاريخية التي اهتمت بسيرتهما على أنه ناظرا شيخ الإسلام ورائد السلفية الذي عاصرهما ( تقي الدين أحمد بي تيمية ( ت : ٧٢٨ هـ / ١٣٢٨ م) وتفوقا عليه في بعض المسائل الفقهية، فأحدثوا له بذلك مضايقا وكان ذلك من أسباب محنته (المقري، ١٩٤٩، صفحة ٥ / ٢١٦) .

– إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي المطماطي : ذكره صاحب النيل قائلا عنه انتهت إليه رياسة التدريس والفتوى في أقطار المغرب كلها ، وكانت ترد عليه الأسئلة من تلمسان وبلاد افريقية كلها للنظر فيها، والإجابة عنها وذكره صاحب نطر الدر والعقبان قائلا عنه ومن أعلم من كان في زمانه أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي كانت الفتاوى تأتيه من افريقية وتلمسان إلى تنس (بابا، ١٩٨٥، صفحة ١٢٠) ، ورغم صرامة في أحكامه ، فقد أثبت له في رحلته قول شيخه زين الدين أبي الحسن المنير الذي ذكر في شانه أما بلاد يكون فيها مثل أبي إسحاق التنسي ، فما خلت من العلم ، لذلك لم يكن عند التنيلي مانعا أن يقول عنه انتهت إليه رياسة التدريس والفتوى في أقطار المغرب كله (الحفناوي، ١٩٨٢، صفحة ١٨) .

**ج . في مجال القضاء :**

أما فيما يخص وظيفة القضاء ، وحسب تتبعنا لما ذكرته المصادر التاريخية ، فقد كان عددهم قليل جدا بالمقارنة مع ميدان التدريس ، ومن بين علماء هذا البيت الذين مارسوا وظيفة القضاء فنجد :

العالم محمد بن أحمد بن محمد بن عطاء الله المعروف بالقاضي جمال الدين التنسي ابن القاضي ناصر الدين التنسي وباستثناء صاحب النيل الذي قال عنه أنه تولى قضاء المالكية يسير ، فان بقية المصادر التي ترجمت له لم تخصه بأي تفاصيل تتعلق بحياته القضائية وممارسته لها، بل اكتفت بالسكوت ، وهو الأمر الذي صعب علينا التعرف عليه بشكل واسع (بابا، ١٩٨٥، صفحة ٤٧٩) .

**٤ . الاحوال الاقتصادية لمدينة تنس :**

وعرفت المدينة خلال هذا القرن وما يليه ازدهارا اقتصاديا دفع بالمبادلات التجارية بينها وبين الأندلس إلى الأمام أكثر ، كما تضاعفت أهميتها بعد أن أصبحت سواحلها من أهم مناطق صيد المرجان ، كما أن ميناءها كان محطة أساسية لتحركات الأسطول الحربي الأموي ، حيث كان يقصدها أولا ثم يتوجه نحو المناطق الشرقية من بلاد المغرب (أرشيبالد، ١٩٦٠، صفحة ٣٣٠) ، ولم يؤثر هذا التوتر على نشاطها الاقتصادي الذي يمثل سرّ بروزها وازدهارها واستقطابها للأعداء ، فقد كانت في بدايتها سوقا تجارية تحط بها السلع القادمة بحرا من المدن الأندلسية وبرا من ضواحيها والمدن المشهورة آنذاك كتاهرت في العهد الرستمي ، ثم تحولت إلى مدينة أساسية تعبرها الطرق التجارية القادمة من الشرق والغرب والجنوب فتكون معبرا فقط أو محطة أساسية يتحول من خلالها الطريق البري إلى بحري باتجاه المدن الأندلسية وأساس هذا النشاط الاقتصادي هو الميناء الذي حفظها من الاندثار في فترات تاريخية طويلة ، فرغم انقطاع الحديث عنها في فترات زمنية طويلة لبعدها عن الحواضر الكبرى الناشئة بين الحين والآخر إلا أن ميناءها بقي يؤدي وظائفه دون انقطاع ، بسبب حاجة كل الدول له في

تصريف البضائع وجلب الناقص منها ، كما أن وصف المصادر لها بين أهميتها الاقتصادية ووجود المنشآت المعمارية التي يقصدها التجار كالفنادق مثلا ، مما يجعل منها محطة تجميع للسلع قبل نقلها بالمراكب ، والتي لا تتطلب الإقامة الطويلة في المدينة حيث تعقد اتفاقيات مسبقة تجسد بعد وصول المراكب بفترة قصيرة ، ويكتفي التجار حينها باستغلال مساكن الأصدقاء والأقارب والتجار القاطنين فيها فهذا النشاط الاقتصادي مكن حكامها من الحصول على موارد مالية متنوعة هامة تستعملها في تسيير شؤون المدينة ولسلطانها بها وجوه من الأمور الكثيرة كالخراج والجوالي والواردة (المقدسي، ١٩٩١، صفحة ٣٧٨) ، اذ اشتهرت مدينة تنس بمرساها ويعد من أهم مصادر الاقتصادية في مدينة تنس .

**١ . المرسى في تنس :**

يعتبر المرسى العصب الرئيسي في قيام وتطور واستمرار المدن الساحلية ، فهو يسمح لها بالاتصال بعالم ما وراء البحر ويمتن صلتها بالمدن الداخلية التي تجعل من مرساها وسيطا يربطها بمدن الضفة الأخرى من البحر ، وبهذا تبرز هذه الخاصية كصفة غالبة على صفاتها الأخرى وتنعت حينها بالمدينة المرفأ ، وينتج عن هذا ضرورة توفر بعض المستلزمات التي تسهل عملية رسو السفن في الميناء وإقامة التجار في المدينة ، ومن ضرورات تسهيل الرسو الحواجز الطبيعية التي تساعد على الحماية من الرياح المختلفة الاتجاهات ، وبناء منارة في أماكن عالية ترشد السفن وتساعدها على الرسو بسلام في أماكنها ، ووجود ملجأ عميق محمي من الرياح يقي السفن الراسية أثناء التقلبات العنيفة للطقس ، إضافة إلى ضرورة احتواء المدينة على متطلبات العيش لزوارها المؤقتين كالفنادق والحمامات والأسواق (ناجي، ٢٠٠١، صفحة ٦٨ . ٩١) ، وبالعودة إلى تاريخ المدينة قبل تأسيس تنس الحديثة وبعدها يمكن الاستنتاج أن مرساها كان مشهورا ومقصودا منذ زمن بعيد يمتد إلى العهود القديمة ، فقد كانت الدول الناشئة في بلاد المغرب تتخذ من هذا المرسى منفذا أساسيا لسلعها المتجهة نحو بلاد الأندلس حتى قبل تأسيس مدينتها الحديثة ، وأصبحت مركزا تجاريا كبيرا تتجمع فيه مختلف البضائع قبل وصولها إلى الميناء ، ومن المدن التي اعتمدت عليه مدينة تاهرت عاصمة الدولة الرستمية التي عرفت في هذه الفترة تطورا جعل منها مركزا تجاريا حساسا يربط بين الصحراء والأندلس وجزر البحر الأبيض المتوسط عن طريق ميناء مدينة تنس ، وكانت تخرج منه البضائع القادمة من مدينة تاهرت وتدخل إليه البضائع القادمة من مدن الأندلس ، بحيث كان التاجر يسير منها باتجاه مدينة تنس في ظرف أربعة أيام ومنها في يوم وليلة يصل إلى مدينة تدمير الأندلسية (اليعقوبي، ٢٠٠٢، صفحة ١١٠) ، كما كان هذا الميناء أحد الموانئ المغربية التي كانت تستخدم في التبادلات التجارية مع الإسكندرية والشام ، كما استعمل كثيرا في الميدان العسكري ، حيث استغله أميو الأندلس في

عملياتهم العسكرية الموجهة لتدعيم الموالين لهم ضد الفاطميين في بلاد المغرب (الداعي ، ١٩٨٥، صفحة ٣٨٦) .

ونظرا لأهميته الكبيرة أصبح مقصد البحريين الأندلسيين في تصريف بضائعهم ، ومما زاده مكانة هو توفره على ملجأ محمي بكتل صخرية كبيرة يقع على بعد ١٥٠٠ م من المدينة المنشأة في العهد الفرنسي ، تلجأ إليه السفن للحماية أثناء التقلبات الجوية العنيفة في فصلي الخريف والشتاء خاصة منها الرياح الشمالية الغربية والشمالية الشرقية ، فالأندلسيين كانوا يحمون سفنهم في ذلك المكان إلى غاية استقرار الأحوال الجوية ، وانطلاقا من هذا الاستقرار المتكرر والطويل نوعا ما ظهرت فكرة تأسيس المدينة ، وبقيت صلاتهم التجارية بميناء تنس مستمرة بفعل الاندماج الذي وقع بينهم وبين سكان المدينة (أوليفياريمي ، ٢٠٠٢، صفحة ٧٧) ، وكان لرأس تنس الدور الكبير في حماية الميناء من تأثير الرياح القوية القادمة من الاتجاهات الشرقية والشمالية الشرقية لكنه قليل الفعالية بالنسبة للرياح الشمالية الغربية ، وغير فعال بالنسبة للرياح الغربية (البكري، ١٩٩٢، صفحة ٨١) ، مما يجعله غير عملي في أوقات معينة من السنة ، وهو ما جعل البكري يصنفه ضمن المراسي الصيفية ولمساعدة السفن للرسو في رصيف الميناء كان ربان السفن يستعينون بالفنار أو المنارة التي يطلق عليها سكان مدينة تنس اسم الناقوس ، تقع على رأس تنس في مكان مرتفع وقريب من الميناء حتى أصبح رأس تنس كله يسمى بالناقوس وهذا الفنار عبارة عن برج مربع الشكل قديم النشأة لرسو السفن والنزول منها كانت الموانئ تزود عادة بمصطبات خشبية ، فقد أصبح من أهم موانئ المغرب الأوسط في العصر الوسيط نظرا للحركة الكبيرة التي كانت تدب فيه ، وحدد بعضهم المدن الأندلسية التي كان مرساها يتعامل معه ، مثل اليعقوبي الذي ذكر تدمير والبكري مدينة شنتبول بربطه بجزيرة سردانية حيث قال أنه وصل إليه في مدة عشرة أيام بعد خروجه من مرسي هذه الجزيرة (البكري، ١٩٩٢، صفحة ٨١) ، وتوجد قبالة المدينة جزيرة صغيرة تحتمي عندها السفن إبان هبوب العواصف ، إذا تعذر عليها البقاء في المرسى ، وعموما فإن المصادر ركزت جلها على وظيفته في تصريف البضائع إلى بلاد الأندلس ، لكنه فقد مكانته في أواخر العهد العثماني حيث وصفه بوتان بأنه ميناء سيئ ومخصص للسفن الصغيرة فقط ولا يتوفر على حماية ، وينفي روسو وجوده ، ويذكر بأنه يوجد مرسى طبيعي عريض جدا محمي فقط من الرياح الشرقية ، ومن الخطر جدا البقاء فيه ليلا (ابن حوقل، ١٩٩٢، صفحة ٨١) .

إن مرسى مدينة تنس يعد مركزا مهما للتبادل التجاري ، كما كان محور توقف السفن الآتية من الشرق والغرب والمحملة بالسلع و البضائع مختلفة ، لهذا ساهم هذا الميناء بقدر كبير في تطور المدينة سواء من الناحية الحضارية أو الاجتماعية أو الاقتصادية (الجنحاني، ١٩٧٥، صفحة ٣٩٠) ، وأساس هذا النشاط الاقتصادي هو الميناء الذي حفظها من الاندثار في فترات تاريخية طويلة ، فرغم انقطاع أخبارها في فترات زمنية طويلة

لبعدها عن الحواضر الكبرى الناشئة بين الحين والآخر إلا أن ميناءها بقي يؤدي وظائفه دون انقطاع ، بسبب حاجة كل الدول له في تصريف البضائع وجلب الناقص منها من وراء البحر .

**٢ . الأسـواق :**

تعتبر الأسواق المركز الاقتصادي للمدينة أو الاماكن الموجودة فيها ، وهو العنصر الأساسي الثاني بعد المسجد في معظم المدن المغربية ، ويندر وجود وصف للجغرافيين لمدينة ما دون ذكر سوقها أو أسواقها مهما كانت صغيرة أو كبيرة ، فنظرة موجزة لما قاله البكري حول مدينة تنس تبين أن بدايتها كانت سوق تتجمع فيه السلع القادمة من مدن الأندلس وبلاد المغرب فيحدث التبادل بينهما عن طريق البيع والشراء ، استحسن السكان وجوده لما يوفره لهم من عمل وسلع ، فشجعوا التجار الأندلسيين على الاستقرار في هذا المكان وجعله سوقا دائما ، ثم سرعان ما تطور الأمر إلى بناء مدينة غير بعيدة عن هذا الموقع تضم أسواقا كثيرة (البكري، ١٩٩٢، صفحة ٦١ . ٦٢ . ٦٣ ) .

والأسواق نوعان : النوع الأول ثابت ودائم يقع في المجال الحضري للمدينة أكبرها يكون غير بعيد عن المسجد الجامع والأخرى تتوزع في أماكن مختلفة منها (عز الدين، ١٩٨٣، صفحة ٢٩٣) كالشوارع والرحبات أو أي فضاء شاغر داخل المدينة وتتميز بالتنوع من حيث المساحة وكمية ونوع البضائع المعروضة فيها حسب طلب أهل المدينة المراد خدمتهم بها ، وعموما فإن لفظ السوق في هذا النوع يطلق على كل مكان يجتمع فيه البائع والمشتري والسلع سواء بصفة دائمة أو مؤقتة ، وفيما يتعلق بالتسمية فالسوق يحمل اسم مؤسسه والقائم بأمره ، أو القبيلة المشرفة عليه أو تنسب إلى اليوم الذي تعقد فيه وأحيانا تكون حسب النشاط الغالب عليه أو البضاعة السائدة فيه (الجنحاني، ١٩٧٥، صفحة ١٠١) .

و ما هو موجود في تنس فإنه ساحة واحدة تحمل اسم السوق استخدمت حاليا لبناء مركز صحي ، وتقع في الشارع نفسه الذي ينطلق من باب البحر ويعبر الرحبة (ساحة عامة) ومسجد سيدي بلعباس ويتجه باتجاه أحد أبواب القبلة ، ووجود السوق في مثل هذه الشوارع ظاهرة توجد كذلك في المدن الأندلسية (ليوبولدو، ٢٠٠٣، صفحة ١٩٥) وفي غيرها من المدن الإسلامية .

ويمتد النشاط التجاري من السوق إلى الشوارع المؤدية لها فتصطف المحلات التجارية على طولها وتتفرع منها شوارع أخرى ترتب فيها محلات أخرى متشابه في الوظيفة ، وتلتقي هذه الشوارع أحيانا فتشكل مساحة تعرض فيها سلعة معينة فيتسمى المكان بسوق السلعة السائدة فيها ، وهكذا تنشأ أسواق الشماعين والحنة والنحاسين والحرير والخزافين (فارسي، ١٩٩٤، صفحة ٥٧) وهذا التخصص في الأسواق يساهم في تسهيل عملية الوصول إلى السلع

ويوسع من فرص اختيار أحسنها جودة وسعرا في مكان واحد ،كما يسهل من عمل المحتسب القائم على مراقبة جودة السلع وعمل المكلف بتحصيل الضرائب وما ذكر في المصادر حول كثرة الأسواق في مدينة تنس لا يوجد ما يقابله ميدانيا إلا إذا تم ضم الرحبات إلى الأسواق ، لأن الرحبة إذا احتوت على متاجر دائمة أو استقرت فيها متاجر مؤقتة تتحول إلى سوق (ليوبولدو، ٢٠٠٣، صفحة ٤٣٣) ، وأحيانا تقام في بعض الرحبات أسواق صغيرة فتسمى بالسويقة ، وهي مراكز خاصة بأحياء معينة تعمل على إعادة توزيع السلع المجلوبة من أماكن أخرى (شالمتيا، ١٩٨٣، صفحة ١١٤) .

وما النوع الثاني هو الاسواق الأسبوعية يقصده التجار المتجولون من المناطق المجاورة يعقد مرة في الأسبوع خلال يوم من أيامه وأحيانا يتسمى به ، وتتميز بعدة خصائص أهمها أنها تجري خارج أسوار المدن وغير بعيد عن باب من أبوابها ، فيسهل ربطها بسكانها وتقلل من التدفق البشري داخل المدينة باعتبارها مقصد كل سكان التجمعات السكانية الحضرية والريفية القريبة منها ، خاصة منهم القادمين من المناطق الريفية الجبلية بغية تصريف منتجاتهم الفلاحية واقتناء ما ينقصهم من بضائع (حسن، ١٩٩٩، صفحة ١ / ٥١٠) وهي غير محددة المساحة مما يساعدها على تجميع أكبر قدر من السلع والناس ، دون الحذر من تلويث المحيط الذي يعتبر عاملا محددا لأنواع البضائع المعروضة في الأسواق الواقعة داخل أسوار المدن ، إضافة إلى أنها تمنح حرية كبيرة في الحركة رغم الاكتظاظ الذي تتميز به ، كما أن وجودها خارج الأسوار يحمي المدينة من تسرب الأعداء في وسط حشود المتسوقين ، وهذا النمط من الأسواق كان منتشرا كثيرا في مدن المغرب الأوسط المتقاربة بينها ، فينتج عنها أسواق تقام على مدار الأسبوع في أماكن مختلفة (شالمتيا، ١٩٨٣، صفحة ١١٢) .

**الخلاصة :**

بعد الاطلاع على أهم أقوال الرحالة والجغرافيين يمكن الخروج بعدة نتائج فالمدينة بمميزاتها الحضارية وقوتها الاقتصادية والتجارية كانت لها أهمية كبيرة قبل التأسيس بسبب أقدميتها منذ العصر الفينيقي ، وبعد تشييدها من قبل الأندلسيين زاد تطورها وعظمتها بين المدن الإسلامية ، غير أن المدينة لم تحظ باهتمام كبير من قبل الجغرافيين والرحالة بعد القرن الخامس الهجري ، فمعظم من وصف المدينة استند لما كتبه البكري في كتابه المسالك والممالك مع وجود بعض المعلومات الجديدة فقط ، وهذا رغم عظمة المدينة ودورها التجاري بين المدن الداخلية للمغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة ، كما كانت محطة تقصدها الكثير من السفن الأندلسية، إضافة لذلك فهي من المدن الأولى في المغرب الإسلامي التي اشتهرت وعرفت بمعالمها الحضارية وتجارتها الرائجة ، إلا أنه على الرغم من تشابه بعض الأوصاف عن هذه المدينة سواء ما تعلق بالعمران أو التجارة أو الزراعة ، غير أن المشكلة في وصفهم للمدينة أيام تعرضها للوباء في فصل الربيع ، فالبعض منهم

وصف عذوبة المياه وتعدد منتجاتها الزراعية مثل القمح والخضر والفواكه والسفرجل وغيرها ، ثم يصفون ماءها وهواءها وأرضها بالسوء والذم وأنها لا تصلح للعيش ، وهنا نجد تناقضا عما قيل في البداية ثم اختلف عنه بطريقة أخرى ، فالأبيات الشعرية التي نقلت عن الشعراء فيها الكثير من الذم والسوء ، في حين الواقع يثبت العكس من خلال العمران الذي شيد بالمدينة من مساجد وقصور وحمامات وغيرها ، وعلى العموم تبقى هذه الكتابات من المصادر المهمة لدى الباحث ، فهي أعطت لنا عدة حقائق تاريخية عن هذه المدينة في شتى النواحي سواء اجتماعية أو سياسية أو تجارية أو حضارية أو عمرانية ، وقد غيرت ودحضت أقوال المستشرقين الذين نسبوا كل الحضارة والتطور للحضارات القديمة ، فالدارس لأقوال الجغرافيين والرحالة بدقة وتفحص يدرك قيمة هذه المصادر التي أبرزت أهمية المدن الإسلامية .

**المصادر والمراجع :**

المراجع

فون مالتسان هاينريش . (٢٠١١). *ثلاث سنوات في شمال غربي افريقيا*. (ابو العيد دودو، المترجمون) الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

ابراهيم السعدي محمود. (١٩٩٥). *حضارة الرومان منذ نشأة روما وحتى نهاية القرن الأول الميلادي* . الجزائر : الدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية .

ابراهيم بن برهان الدين العمري ابن فرحون. (٢٠١١). *الديباج المذهب في أعيان المذهب* . القاهرة: دار التراث للطبع والنشر .

أبن الأحمر. (٢٠٠١). *تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان* (المجلد ١). (تعليق : هاني سلامة، المحرر) بور سعيد: مكتبة الثقافة الدينية.

ابن مريم. (٢٠١٤). *البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان*. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن منظور. (د.ت). *لسان العرب* . بيروت: دار الصادر.

أبو اسحاق الأصطخري. (١٩٢٨). *المسالك والممالك*. ليدن: مطبة بريل.

ابو القاسم الحفناوي. (١٩٨٢). *تعريف الخلف برجال السلف* (المجلد ١). تونس: مؤسسة الرسالة.

أبو القاسم النصيبي ابن حوقل. (١٩٩٢). *صورة الارض*. بيروت: مكتبة الحياة.

أبو عبيد الله البكري. (١٩٩٢). *المسالك والممالك*. (تحقيق : أدريان فان ليوفن وأندري فيري، المحرر) بيروت: دار العربية للكتاب.

أبي عبيد الله الادريسي. (٢٠٠٢). *نزهة المشتاق في اختراق الأفاق*. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

أحمد أبي الربيع. (١٩٩٦). *سلوك الملوك في تدبير الممالك*. (تحقيق : عارف أحمد عبد الغني، المحرر) سوريا: دار كنان.

أحمد بن اسحاق أبو العباس اليعقوبي. (٢٠٠٢). *البلدان* (المجلد ١). (تحقيق : محمد أمين الضناوي، المحرر) بيروت: دار الكتاب العلمية.

احمد بن عبد الله التلمساني المقري. (١٩٤٩). *نفح الطيبمن غصن الاندلس الرطيب*. (تحقيق : محي الدين عبد الحميد، المحرر) القاهرة.

أحمد موسى عز الدين. (١٩٨٣). *النشاط الاقتصادي في المغرب الاسالمي خلال القرن السادس الهجري* (المجلد ١). بيروت: دار الشروق.

التنبكتي بابا. (١٩٨٥). *نيل الابتهاج بتطريز الديباج* . الجزائر : دار البحوث.

التنسي حولة. (١٩٨٥). *نظم الدرر والعقبان*. الجزائر: المكتبة الوطنية الجزائرية.

الحبيب الجنحاني. (١٩٧٥). *المغرب الاسلامي الحياة الاقتصادي والاجتماعي ( ٣ . ١٠ هـ )*. تونس: دار التونسية للنشر .

الدين بن داود نصر. (٢٠٠٩). *بيوتات العلماء بتلمسان من القرن ٧ هـ / ١٣ م الى القرن ١٠ هـ / ١٦ م* . الجزائر: جامعة تلمسان ، اطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط قسم التاريخ.

الدين بن داود نصر. (٢٠١٠). *بيوتات علماء بتلمسان من القرن ( ٧ هـ / ١٣ م ) الى القرن ( ١٠ هـ / ١٦ م)* . جامعة تلمسان: اطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط.

الصغير غانم محمد. (٢٠١١). *معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر*. عين مليلة: دار الهدى.

العبدلي خضر . (٢٠١١). *التاريخ السياسي والحضاري لدولة بني عبد الواد* . وهران: دار ابن النديم للنشر .

المهدي البو عبدلي. (٢٠٠٩). *مركز الثقافة وخزائن الكتب بالجزائر* . الجزائر : مقالة ضمن مجلة الأصالة العدد ١١.

النعمان اسماعيل بن. (٢٠١١). *مدينة تنس دراسة تاريخية وأثرية وعمرانية* . الجزائر: جامعة الجزائر ، اطروحة دكتوراه في علم الآثار ، آثار اسلامية .

بدرو شالمتيا. (١٩٨٣). *الاسواق*. (ترجمة : أحمد محمد ثعلب، المحرر) اليونسكو: كتاب المدينة الاسلامية.

بن محمد الميلي مبارك. (٢٠١١). *تاريخ الجزائر في القديم والحديث*. بيروت: المؤسسة الوطنية للكتاب.

بهاء الدين محمد بن الحسن ابن حمدون. (١٩٧٢). *الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب*. القاهرة : دار التراث للطباعة والنشر .

بوزرينة سعيد. (٢٠١٩). *الهجرة الاندلسية الى بلاد المغرب الأوسط وظاهرة بناء المدن مدينة تنس أنموذجا*. جوان: مجلة قبس للدراسات الانسانية والاجتماعية ، مجلد ٣ ، العدد ١ .

توريس بالباس ليوبولدو. (٢٠٠٣). *المدن الاسبانية الاسلامية* (المجلد ١). الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية.

حاجياي عبد الحميد. (١٩٧٤). *أبو حمو موسي الزياني حياته وأثاره* . الجزائر: الشركة الوطنية للنشر.

حليمي عبد القادر. (١٩٦٥). *جغرافية الجزائر الطبيعية والبشرية والاقتصادية* . سوريا: مطبعة الانشاء.

ر . لويس أرشيبالد. (١٩٦٠). *القوة البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط*. (ترجمة : أحمد محمد عيسى، المحرر) القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

سالم عبد العزيز. (١٩٥٢). *تاريخ المغرب في العصر الاسلامي* . مصر: مؤسسة شباب الجامعة.

شاكر مصطفى. (١٩٨٨). *المدن في الاسلام حتى العصر العثماني* (المجلد ١). د.م: لسان العرب.

شيت خطاب محمود. (١٩٥٠). *قادة فتح المغرب العربي* (المجلد ٧). بيروت: دار الفكر العربي للنشر والتوزيع.

صالح قرية. (٢٠٠٧). *تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر* . الجزائر: منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية .

عبد الحميد حاجيات . (١٩٨٤). *الجزائر في التاريخ العهد الاسلامي من الفتح الى غاية بداية العهد العثماني* . الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

عبد الرحمن الجيلالي. (١٩٦٥). *تاريخ الجزائر العام* (المجلد ٢). القاهرة: دار مكتبة الحياة.

عبد الرحمن ابن عبد الله ابن خلدون. (٢٠١١). *ديوان المبدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر*. (ضبط ، سهيل زكار، المحرر) بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

عبد الرحمن العبادي. (١٩٥٧). *سياسة الفاطميين نحو المغرب والاندلس* . مدريد: صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية لمدريد .

عبد الرحمن ناجي. (٢٠٠١). *دراسات في تاريخ المدن الاسلامية*. بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.

عبد الله يوسف الغنيم. (١٩٩٦). *مصادر البكري ومنهجة الجغرافي* (المجلد ٣). الكويت: توزيع ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع.

عبد الواحد المراكشي. (٢٠٠٦). *المعجب في تلخيص أخبار المغرب* (المجلد ١). (شرحه : صلاح الدين الهواري، المحرر) بيروت: المكتبة العصرية.

علي الفاسي أبي زرع. (١٩٧٢). *الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس* . الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة .

عماد الدين ادريس الداعي . (١٩٨٥). *تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب( قسم الخاص من كتاب عيون الأخبار )*. بيروت: دار الغرب الاسلامي .

كونستبل أوليفياريمي . (٢٠٠٢). *التجارة والتجار في الاندلس* (المجلد ١). الرياض: العبيكان.

مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي. (٢٠٠٥). *القاموس المحيط* (المجلد ٨). (تحقيق : محمد نعيم العرقسوسي، المحرر) بيروت: مؤسسة الرسالة.

محجوب عرايبي صبرينة. (٢٠١٤). *نماذج من البيوتات العلمية الصغرى بتلمسان العهد الزياني بيت الشريف بيت أولاد الامام*. الجزائر: جامعة الشلف ، مذكرة ماجستير ، شعبة التاريخ .

محجوبي عمار . (٢٠١١). *ولاية افريقيا من الاحتلال الروماني الى نهاية العهد السويري (١٠٦ ق . م . ٢٦٨ م)* . الجزائر : مركز النشر الجامعي .

محمد بن أحمد المعروف بالبشاري المقدسي. (١٩٩١). *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم* (المجلد ٣). القاهرة: مكتبة مدبولي.

محمد حسن. (١٩٩٩). *المدينة والبادية بافريقية في العهد الحفصي* . تونس: جامعة تونس الاولى ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية .

محمد سعيد فارسي. (١٩٩٤). *التحدي المعماري في المدينة الاسلامية* . جدة: مجلة المنهل العدد ٥١٩ دار المنهل للصحافة والنشر المحدودة .

محمد شاكر ابراهيم وميض. (٢٠٠٣). *أبو عبيد الله البكري ومنهجة التاريخي في كتاب المغرب في ذكر افريقية والمغرب* . الموصل: رسالة ماجستير كلية التربية جامعة الموصل ، التاريخ الاسلامي .

محمد مخلوف. (٢٠١١). *شجرة النور الزاكية في طبقات المالكية* . بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر .

مختار حساني . (٢٠١١). *الحواضر والامصار الاسلامية الجزائرية*. الجزائر: دار الهدى.

مرتاض محمد. (٢٠٠٤). *من أعلام تلمسان مقارنة تاريخية فنية*. وهران: دار العرب للنشر والتوزيع.

مطهري فطيمة . (٢٠١٧). *مدينة تنس ثغر الأندلسيين ومحطة تجارتهم وعبورهم الى بلاد المغرب الاسلامي* . الجزائر: مجلة القرطاس ، العدد ٣.

مؤلف مجهول. (١٩٢٠). *الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية*. (تحقيق : محمد أبن أبي شنب، المحرر) الجزائر: مطبعة جول كربونل.

مؤلف مجهول. (د.ت). *الاستبصار في عجائب الأمصار لكاتب مراكشي من القرن السادس الهجري ( ١٢م).* (تعليق : سعد زغلول عبد الحميد، المحرر) بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.

ياقوت الحموي. (١٩٧٧). معجم *البلدان*. بيروت: دار الصادر.

يحيى ابن خلدون . (١٩٨٠). *بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد*. (تحقيق : عبد الحميد حاجيات، المحرر) بيروت: اصدارات المكتبة الوطنية.